OPEN ACCESS
Al-Tansheet
﴾Journal of Islamic Studies﴿
ISSN (print): 2959-4367
ISSN (online): 2959-1473
www.altansheet.com

Al-Tansheet
Vol.:3, Issue: 1, Jan -June 2024 PP: 16-35

بناء الشخصية في رواية (كلمة الله) لأيمن العتوم

Building the character in the novel (The Word of God) Ayman Al -Atoum

Published:
25-06-2024
Accepted:
12-06-2024
Received:
05-05-2024

Farman Ullah khan
Ph.D Scholar, Department of Literature, Faculty of Arabic, International Islamic University Islamabad
Email: farmanullah.khan@iiu.edu.pk

Prof. Dr. Fazlullah
Dean Faculty of Arabic, International Islamic University Islamabad
Email: drfazlullah@iiu.edu.pk

Abstract

The art of the novel is considered one of the modern literary arts through which the writer can broadcast his ideas and deliver the message he believes for readers. In the present era, it has achieved fame and popularity that the rest of the literary arts have not achieved. It was able to understand human problems and various issues. The element (character) is considered the most important element of the novel, as it is the basic pillar on which the novelist relies in his work along with other novel elements. The subject of character building is an important matter for the novelist Ayman Al-Atoum, as his novels have a great human nature. Al-Atoum has reconciled - in dealing with these characters - between reality and the idea that he wants to convey to the recipient, as he undertakes his fictional characters with a lot of care and attention and breathes them into life so that they do not appear to be artificial artistic characters, but rather it has a real existence in reality..

Keywords*: novel, character, Ayman Al-Atoum, literary, element.*

CC BY

المدخل

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الشخصيات الروائية في رواية (كلمة الله) لأيمن العتوم، وهي قضية نقدية مهمة إذ تهتم بإبراز أنواع الشخصيات التي اعتمد عليها الكاتب، وأنماطها المختلفة. ومن خلال تحليل ودراسة هذه الرواية وشخصياتها سيتبين لنا ماهية تلك الشخصيات، وما قامت به من الأدوار المختلفة التي سيقت إليها داخل الرواية.

خطة البحث:

يحتوي البحث على تمهيد ومبحثين. يتناول التمهيد مفهوم الشخصية الروائية وأنواعها، كما يتناول نبذة عن حياة الروائي أيمن العتوم وأعماله الأدبية. والمبحث الأول يتناول عرض وتخليص رواية (كلمة الله) والمبحث الثاني يتناول أنواع الشخصيات في الرواية.

التمهيد

تعريف الشخصية:

لغة:

يتحدّد المفهوم اللغوي لكلمة الشخصية بالعودة إلى أمهات المعاجم والقواميس اللغوية. فقد وردت الكلمة في الجذر اللغوي العربي (ش خ ص) ويُراد بها معان عدة. منها: كل جسم ارتفع وجاوز الهدف من أعلاه. والشيء الذي يبدو ويظهر من بعيد. كما يُراد بها فَتحُ الإنسان عينيه من دون أن يَطرِفَ بهما، كما ورد في قوله عزوجل:

(وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ)[1].

وقد يُراد بكلمة (شخص) ضخامة الجسم وعِظمه. وفي كتاب العين:

"شَخصٌ: الشخصُ سواد الإنسان إذا رأيته من بعيد، وكل شيء رأيتَ جسمانه، فقد رأيتَ شخصه. وجمعه: الشخوص والأشخاص. والشخوص: السير من بلد إلى بلد.. وشخص الجرح: وَرِمَ. وشخص ببصره إلى السماء: ارتفع. وشَخَصَتِ الكلمةُ في الفم: إذا لم يقدر على خفض صوته بها"[2].

ووردت كلمة (شخصٌ) في معجم لسان العرب بعدة معان:

"الشَّخصُ سواء الإنسان أو غيره تراه من بعيد. والشخصُ كل جسم له ارتفاع فظهور.. ورجلٌ شَخِيصٌ إذا كان سيدا، وشَخُصَ رجلٌ فهو شخيصٌ أي جسيم، وشَخَصَ شُخوصا ارتفع"[3].

وفي القاموس المحيط للفيروز آبادي:

"شَخَصَ بمعنى ارتفع بصره، وفتح عينيه، وجعل لا يطرف. وبصره: رفعه. ومن بلد إلى بلد: ذهب وسار في ارتفاع. والجرحُ: انتبرَ وورمَ. والسهمُ: ارتفع عن الهدف. والنجم: طلع. والكلمةُ في الفم: ارتفعت نحو الحنك الأعلى.. وأشخَصَه: أزعجه. والمتشاخص: المختلف والمتفاوت"[4].

وهذا التعدد والتوسع في استخدام الكلمة يؤكد على أنّ الكلمة قادرة على حمل أكثر من معنى بحسب استخداماتها المتنوعة.

أما الشخصية: فيراد بها الصفات التي يتحلى بها إنسان ما ويتميز بها عمن سواه. ففي المعجم الوسيط:

"(الشخصية): صفات تميز الشخص من غيره. ويقال: فلانٌ ذو شخصية قوية: ذو صفاتٍ متميزة وإرادة وكيان مستقل"[5].

فالمعنى اللغوي المشترك بين الاستعمالات اللغوية المختلفة للكلمة هو السمو والارتفاع والظهور، والصفات التي يتميز بها الإنسان عن غيره كما جاء في مختلف المعاجم والقواميس اللغوية.

اصطلاحا:

تمثّل الشخصية عنصرا محوريا والركيزة الأساس في العمل الروائي، فهي المحرك الرئيس الذي يدفع بتطور الأحداث داخل العمل الروائي. ومن خلال مواقف الشخصية داخل النص السردي يمكن للقارئ تبيّن المضمون الأخلاقي أو الفلسفي أو الاجتماعي للرواية. ونتيجة لهذا الدور الفعال الذي تقوم به الشخصية تعددت وتنوعت مفاهيمها باعتبارها المحور العام الرئيس الذي يقوم بإبراز الحدث في الرواية. فالشخصية لدى البعض:

"كل مشارك في الرواية سلبا أو إيجابا، أما من لا يشارك في الحدث، لا ينتمي إلى الشخصيات بل يعدّ جزءا من الوصف"[6].

وقد أولى النقاد والدراسون عناية كبيرة بتناول هذا الموضوع بشيء من التفصيل في دراساتهم المختلفة. فهي عندهم

"القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي، وهي عموده الفقري الذي يرتكز عليه"[7].

وقد تناولت (فرجينا دولف) سنة 1925م موضوع الشخصية في مقالتها المعروفة حول الشخصية الروائية، والتي وقفت فيه على إهمال النقاد للشخصية، وحذرت من الخطر المحدق بالنقد الروائي إذا ظل على تجاهله لمفهوم الشخصية.[8]

ويحدد الناقد الفرنسي تودوروف مفهوم الشخصية قائلا:

"إن قضية الشخصية هي قبل كل شيء قضية لسانية. فالشخصيات لا وجود لها خارج الكلمات لأنها ليست سوى كائنات من ورق"[9]

. ويعرّفها الناقد واللغوي الفرنسي فيليب هامون (Filip Hamoun) على أنها

"علامة فارغة أي (بياض دلالي) لا قيمة لها إلا من خلال انتظامها داخل نسق معين هو مصدر الدلالات فيها"[10].

فيركز كل من تودوروف وفيليب هامون على أن الشخصية في الأعمال السردية ليست قائمة بذاتها، إنما تتحدد وتتبين عندما تتفاعل وتنتظم داخل أنساق النص.

ويعرّف (فان رولان بارت) الشخصية بأنها نتاج عمل تأليفي. فهي ليست كائنا جاهزا، ولا ذات نفسية بل هي حسب التحليل البنيوي بمثابة الدال له وجهان: أحدهما دال والآخر مدلول.[11]

وإذا انتقلنا إلى مفهوم الشخصية عند النقاد العرب وجدنا الدكتور مُحَمَّد غنيمي هلال يرى أنّ الشخصية

القصصية هي المدار الذي تدور حوله جميع الأفكار والآراء التي ترتبط به ارتباطا قويا إلى حد التآزر والانسجام بحيث لا يتصور وجود تلك الآراء والأفكار بمعزل عن الشخصيات، ولا تحيا الشخصيات بدون هذه الآراء والأفكار.[12]

ويرى الدكتور عبد الملك مرتاض أنّ الشخصية هي ما يميز العمل الروائي عن غيره من الأجناس الأدبية الأخرى، فإذا انعمدت الشخصية من الرواية أو القصة استحالت إلى لون أدبي آخر فتصير مثل المقالة. يقول:

"الشخصية هي الشيء الذي تستميز به الأعمال السردية عن أجناس الأدب الأخرى أساسا. فلو ذهبت الشخصية من أي قصة قصيرة لصنفت ربما في جنس المقالة. فالمقالة تتناول فكرة مصغرة، وتصطنع شيئا كثيرا من الخيال في سوق الأفكار، وربط الأشياء بعضها ببعض؛ ولكن لا أحد من العقلاء يذهب لدى التصنيف الأدبي إلى قصصية المقالة، أو إلى مقالية القصة. وأهم ما يميز هذين الجنسين بعضهما عن بعض ليس اللغة، ولا الزمان، ولا الحيز، ولا الحدث، ولكن انعدام الشخصية أو وجودها. فبناء على عدميتها أو كينونتها فيهما يتحدد الجنس الأدبي"[13].

ويُستنتج من كل هذه التعريفات المتنوعة بأن الشخصية الروائية عنصر مهم من عناصر السرد. ويختلف مفهوم الشخصية الروائية في علم السرد باختلاف الاتجاهات الأدبية والنقدية التي انطلق منها الأدباء والنقاد في تعريفاتهم للشخصية الروائية.

أنواع الشخصية الروائية:

هنالك تصنيفات متعددة للشخصية الروائية نظرا لتعدد واختلاف معايير التصنيف التي يُنظر بها إلى الشخصية، وأول هذه التصنيفات يقوم على حسب ارتباط الشخصية بالحدث الروائي، والدور الذي تقوم به في السرد، فتصنف إلى شخصية رئيسية، وشخصية ثانوية. وهذا التصنيف أكثر شهرة لأنه يراعي الدور الذي تقوم به الشخصية في السرد. ثم يأتي التصنيف الذي يقوم على حسب تطور الشخصية وتغيّرها، أو ثباتها وجمودها داخل الرواية، وتصنّف الشخصية حسب ذلك إلى نامية، وثابتة.

(1) أنواع الشخصية من حيث الدور والوظيفة المركزية في الرواية:

أ– الشخصية الرئيسية:

هي التي تدور حولها أو بها الأحداث، ويكون ظهورها داخل الرواية أكثر من الشخصيات الأخرى، وحولها يكون حديث الشخصيات الأخرى، ولا تطغى أي شخصية أخرى عليها، وإنما تهدف جميعا لإبراز صفاتها ومواقفها، ومن ثم تبرز بها الفكرة التي يريد الكاتب إيصالها. ويرى غسان كنفاني أن الشخصية الرئيسية هي تلك الشخصية الفنية التي يختارها القاص لتمثيل ما أراد تصويره، أو ما أراد التعبير عنه من أفكار وأحاسيس، إذ يوجد في كل عمل روائي شخصيات تقوم بعمل رئيسي إلى جانب شخصيات تقوم بأدوار ثانوية، التي تعني أنها أقل أهمية من قبل الكاتب. فالشخصية الرئيسة هي التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام.[14] ويمكن القول إنّ الشخصية الرئيسية في أي سرد قصصي، هي المحور الأساس الذي تتمحور عليه الأحداث، وتأتي الشخصيات الباقية كعوامل مساعدة لها.

ب– الشخصية الثانوية:

وهي التي تقوم بدور العامل المساعد لربط أحداث الرواية بعضها ببعض، كما أنها في بعض الأحيان تضيء الجوانب الخفية أو المجهولة للشخصية الرئيسة، أو تكون أمينة سرها فتبيح لها بالأسرار التي يطّلع عليها القارئ.[15] والفرق بينها وبين الشخصية الرئيسية أن حضور الشخصية الرئيسية أكبر وأعظم في مقابل الشخصية الثانوية وأهميتها تفوق أهمية الثانوية. ولكن لا يعني هذا أن الشخصية الثانوية ليس لها دور في الرواية فهي تشارك في الأحداث ومسارها جنبا إلى جنب الشخصية الرئيسية، فلها دورها ومكانتها في الرواية.

(2) أنواع الشخصيات من حيث التغير والتحول والثبات:

أ– الشخصية النامية:

وهي الشخصية التي تتغير خصائصها عبر مراحل الرواية، والتي تنمو وتتطور بشكل تدريجي بتطور أحداث الرواية وتغيرها، وبصراعها مع الشخصيات الأخرى والأحداث، فتتكشف للقارئ كلما تقدّمت في القصة، وتفاجئه بما تغني به من جوانبها وعواطفها. ويصفها إيليا الحاوي بقوله:

> **"هي الشخصية التي تتشابك فيها الأفكار وتتناقض، تحيا جنبا إلى جنب بضراوة وتمزّق وتناحر، يتولد فيها الشر من قلب الخير أو يتحول الخير إلى شر، يصير الحب إلى حقد، والعفة إلى زنى.. صورة للجزر والمد والأخذ والرد في النفس، شبكة من العواطف والغرائز، يتحطم فيها المثال على أديم الواقع، ويتوق الواقع لمعانقة الخيال"**[16].

ويرى الدكتور مُحَمَّد يوسف نجم بأن الأصل في الشخصية النامية أن تكون قادرة على عنصر المفاجئة بطريقة مقنعة، فإن لم تكن كذلك لم يصح إطلاق النامية عليها. يقول:

> **"والمحك الذي تُميّز به الشخصية النامية، هو قدرتها الدائمة على مفاجأتنا بطريقة مقنعة. فإذا لم تفاجئنا بعمل جديد، أو بصفة لا نعرفها فيها، فمعنى ذلك أنها ثابتة"**[17].

ب– الشخصية المسطحة:

ويسميها البعض الثابتة، أو الجامدة أو الجاهزة أو النمطية، وكلها تفيد كون الشخصية لا تتطور ولا تتغير نتيجة تطور الأحداث وتغيرها، وإنما تبقى تلك الشخصية ذات سلوك أو فكر واحد، أو ذات مشاعر وتصرفات واحدة. ويتسم هذا النوع من الشخصيات بثبات سماتها على مدار الرواية، و

> **"تمثل فكرة واحدة في صراعها مع سائر الأفكار المتجسدة في أشخاص آخرين. فهناك شخص يمثل الحب وآخر الحقد وآخر الغيرة أو الخيانة والغدر وما إليها، تطغى على سلوكه في بداية الرواية وتسلك عبر أحداثها جميعا حتى النهاية. تلك شخصية العنصر النفسي الواحد البسيط، لا يترجرج ولا يتزعزع"**[18].

نبذة عن حياة الروائي وأعماله الأدبية

أيمن العتوم شاعر وروائي أردنيّ، ولد في 2 مارس عام 1972م في بلدة (سُوف) بمحافظة جرش الواقعة في

شمال الأردن.(19) سمّاه والده على اسم (أيمن بن عبيد) ابن حاضنة الرسول مُحَمَّد –ﷺ– بركة، وتيمنا بالاسم وتبركا، فكان حقا مباركا وميمونا.(20) تربى أيمن في عائلة متدنية ملتزمة، وكان لهذه التربية الدينية أثر عميق على شخصيته وسلوكه الاجتماعي. تعلّم مبادئ القراءة على شيخ في المسجد العثماني القديم ببلدته، وبدأ يحفظ القرآن الكريم، والحديث النبوي، والشعر وهو في الخامسة من عمره. وأول مدرسة درس فيها هي مدرسة سُوف الابتدائية عام 1978م. تلقّى أيمن العتوم تعليمه الثانوي في إمارة عجمان بدولة الإمارات العربية المتحدة حيث كان يعمل والده في الجامعة.

عاد أيمن العتوم إلى الأردن وحصل على شهادة البكالوريوس في تخصص الهندسة المدنية من جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية عام 1997م. ثم تحوّل من تخصص الهندسة المدنية إلى علوم اللغة العربية فالتحق بجامعة اليرموك وتخرج فيها عام 1999م حاصلا شهادة البكالوريوس في اللغة العربية، ثم التحق بالجامعة الأردنية وأكمل بها دراساته العليا في تخصص اللغة العربية وعلومها، ونال شهادتي الماجستير والدكتوراه في تخصص اللغة العربية والنحو في عامي 2004–2007م وكانت رسالته في الماجستير بعنوان: (اسم المفعول في القرآن الكريم)، وكانت رسالته في الدكتوراه بعنوان (تناوب معاني الأبنية الصرفية في لغة القرآن الكريم).(21)

أعماله الأدبية:

منذ المرحلة الابتدائية والاعدادية أخذ أيمن ينظم الشعر ويكتب بعض القصص القصيرة. وفي عام 1987م كتب أول مسرحية شعرية تتحدث عن معركتي بدر وأحد. ثم أخذ يكتب بعض المقالات النقدية نُشر بعضها في مجلة (المجلة العربية) وبعضها الآخر في مجلات أدبية أخرى. وهو شاعر قدير صدر له عدد من الدواوين الشعرية مثل: (خذني إلى المسجد الأقصى) الذي صدر عام 2009م، وديوان (نبوءات الجائعين) صدر عام 2012م، وديوان (قلبي عليك حبيبتي) صدر في عام 2013م، وديوان (الزنابق) في عام 2015م، وديوان (طيور القدس) الذي صدر في عام 2016م.

وتحتل الرواية حيزا كبيرا من أعمال أيمن العتوم الإبداعية إذ صدر له حتى اليوم ثماني عشرة رواية، وتتنوع هذه الروايات إلى اتجاهات مختلفة فبعضها يندرج تحت أدب السجون، وبعضها روايات تاريخية، وبعضها روايات اجتماعية، وأخرى واقعية وخيالية.

أيمن العتوم مؤسس لعدد من اللجان الأدبية، والأندية الثقافية المختلفة منذ المرحلة الجامعية، ويشارك مشاركة فعالة في مئات من الأمسيات الشعرية والمهرجانات الأدبية التي تعقد في الأردن والدول العربية والإسلامية المختلفة (العراق، الإمارات، مصر، السودان، المغرب، تونس، تركيا..) (22) وله حضور قوي على منصات التواصل الاجتماعي عبر صفحته على الفيس بوك، والانستغرام، وتويتر، حيث يقدم حلقات عن الشعر والأدب عموما على اليوتيوب.

المبحث الأول: عرض وتلخيص رواية (كلمة الله)

صدرت رواية "كلمة الله" للدكتور أيمن العتوم في حزيران/ يونيو 2015م، وتقع في مئتين وخمس وأربعين

صفحة من القطع المتوسط. تناقش الرواية الاختلاف بين المسيحية والإسلام في النظرة لشخصية عيسى عليه السلام، كما تناقش فكرة التعصّب الديني المسيحي والإسلامي، وتتطرق إلى ظاهرتي الإلحاد والغلوّ الديني، وتحاول أن تبرز النتيجة الحتمية التي تنتهي إليها الحال حين لا يحتمل الإنسان في مجتمع ما شريكه فيه ويعلن كل طرف إلغاء الطرف الثاني.

تدور أحداث الرواية في إحدى القرى المسيحية التي تتواجد بها كنيسة قديمة في مكان مرتفع، يشرف عليها الأسقف (أبرام) ومساعداه (دانيال) و(زئيف) وعدد من الراهبات. وتعيش في القرية أسرة مكونة من عدة أشخاص هم: (مريم) وزوجها (وهيب) وأولادها (وائل) و(سلوى) و(بتول).

تتمحور الرواية حول (بتول) ونهايتها المأساوية على يد أحبّ الناس إليها، والدها. كانت بتول تعيش مع عائلتها المسيحيّة في القرية، وكانت مدللة من والديها، وخاصة والدها الذي كان يحبّها حبّا جمّا، وكان يرى بأنّ حياته تتلخص في بتول وتنتهي عندها، ويعلن لها ذلك قائلا:

"أنتِ غاليتي، لن يستطيع أحد في الأرض أن يحرمني منك، ستظلّين نوري في العتمة، وسراجي في الظلمة"[23].

ويتوجّه إلى الربّ سائلا ألا يفجعه بفقد هذه الحبيبة مهما كانت حكمته ويقول:

"دعني ألتمس حكمتك في أيّ شيء إلا في فقدها."[24]

تبدأ عقدة الرواية في الظهور حين تكبر (بتول) وتدخل الجامعة في المدينة بعيدة عن أهلها ووالدها المتيم بها. وفي كليّة الصحافة التي اختارتها بتول تتعرّف على شاب مسلم يُدعى (صالح) زميل لها في الكلية، تُعجب بتول بفطنته وذكائه وأفكاره، وطريقته في المناقشة والحوار، ثم يأخذ هذا الإعجاب يتطوّر شيئا فشيئا إلى صداقة قوية، فحبّ عميق. استطاع (صالح) أن يفتح لـ(بتول) آفاقا جديدة للتّفكر وإعادة النظر في دينها ومعتقداتها. ومن خلال جلوسها إليه واستماعها إلى حديثه المتوازن في أمور المذاهب والأديان، ومناقشاته الثرّة لزميلهم الملحد (مُراد) في أفكاره

"لم يترك لها فرصة للهروب منه فازدادت التصاقا بهذا الإنسان الذي يملك من الحجة والبرهان والأسلوب الجذاب ما يجعله مُقنعًا للحجر"[25].

وأخذ يهتزّ لدى (بتول) كلّ ما نشأت عليه من الأفكار والمعتقدات، لأنّ الذي يقوله (صالح) بالحجة والبرهان ينسف كل ما تربّتْ عليه لحوالي عقدين من الزمان. وتطور الأمور إلى أن تتخلى بتول عن المسيحية وتدخل دين الإسلام من أوسع أبوابه مؤمنة بكل ما جاء فيه.

وتثور ثائرة عائلة (بتول) عندما تعلم بتحولها عن المسيحية ودخولها الإسلام، فيتنكر لها والدها ويتحوّل حبّه العظيم لها إلى غضب شديد حتى يعتدي عليها بالضرب، ويهددها بأشدّ العقوبات إن لم ترجع إلى المسيحية وترك الإسلام إلا أن (بتول) تظل متمسكة بدين الإسلام الذي اختارته بكامل إرادتها. وبعدما استعصى أمرها على والدها يقرر أن يأخذها إلى الكنيسة ويعرضها على الأسقف (أبرام) علّه يتمكّن من إقلاع الأفكار الشريرة التي زرعها (صالح) في عقلها، فتعود إلى رشدها، وتكرّس حياتها لخدمة الرب.

وفي الكنيسة راحت كل مواعظ الأسقف (أبرام) لبتول أدراج الرياح، ولم تنجح مساعيه في إقناعها بالتوبة والعدول عن الإسلام والعودة إلى دينها، فيأمر برميها في زنزانة انفرادية معتمة في سرداب مظلم أسفل الكنيسة، حيث ذاقت بتول كلّ أصناف العذاب والإهانات فكانت تُضرب، وتُذلّ، وتجوّع، وتُعطّش.. وأسوأ من ذلك كله أن الأسقف الذي يدّعي القداسة دخل إلى زنزانتها يوما يريد أن يلوّث شرفها، ويعتدي عليها جنسيا، إلا أنّ بتول لم تمكّنه من نفسها واستطاعت الانفلات منه وإنقاذ نفسها. تحمّلت بتول كل هذه العذابات والإهانات بصبر وإيمان، وظلت متمسكة بدينها الإسلام، وكانت تخاطب نفسها وتطلب من الله أن يلهمها الثبات على الإيمان، والصبر على ما تلقاه في سبيله. ولم تكن تخاف الموت ما دامت لم تقترف خطأ، وكانت راضية بكل ما أعطاها الله تعالى فما يأتي من عنده لا مفر منه، محتسبة الأجر منه في كل ما يحصل لها في الحياة.

وعندما أعيتهم الحيل ولم يفلحوا معها في شيء اتصلوا بوالدها كي يدبّر أمرها فقد استعصت عليهم ولم تتحرك بوصةً واحدة عما قرّرته من الإيمان بالله الواحد الأحد. عندها استشاط والدها غضبا وذهب فورا مع أخيه (رُشدي) إلى الكنيسة وأخذ ابنته وأركبها معه في السيارة وصعد بها إلى قمّة جبل البئر حيث ينتظره ابنه (وائل) لينتقما من هذه الخائنة التي تريد أن تلطّخ سمعة العائلة. ويا للمفارقة العجيبة فقد اختار (وُهيب) للإجهاز على ابنته نفس المكان الذي كان يصطحبها فيه أيّام طفولتها ليُريها بهجة الدنيا وفرحة الحياة.

ثم تبدأ حفلة العذاب التي تجزع لها القلوب وتقشعر لها الأبدان، فقد أخذ قساة القلوب يشعلون النّار ويضعون فيها الأسياخ حتى تحمّرت، ثم راحوا يكشفون عن بطن الفتاة ويتناوب كل من الأب والإبن على غرز الأسياخ المتجمرة في جسد الضحية واحدا واحدا. فقدت الفتاة وعيها من شدة العذاب وربما فارقت الحياة، إلا أن عديمي الإحساس والذين أعمى التعصب الديني بصيرتهم وسلب ضمائرهم لا يشفى غليلهم بذلك بل يعمدون إلى صخرة كبيرة ويهوون بها على رأس البنت، فيسيل دماغها من تحتها وتفارق الحياة.[26] تموت (بتول) على يدّ والدها ذلك الرجل الذي طالما أحبّته، وتمنّت له الخير، الرجل الذي كان يزرعها بين جفونه ويخاف عليها من النسمة يهون عليه اليوم أن يقتلها بيده!

لم تكن بتول الضّحية الوحيدة للتعصّب الديني الذي تناوله أيمن العتوم في هذه الرواية، فقد راح ضحيته (مُراد) الذي يدرس مع (صالح وبتول) في نفس الجامعة. وكان مُراد يدعي الثقافة والعلم ويكفر بكل شيء، وكان ينشر أفكاره الإلحادية بين الطلبة الذين ليس لديهم أساس متين ولا أرضية صُلبة فيما يتّصل بالدين. استطاع (صالح) أن يواجهه ويقارع حجته بالحجة، ويفنّد مزاعمه، وشكوكه حول الدين والخالق.. وكان يناقشه بهدوء ويحاول إقناعه بالعدول عن أفكاره بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة.

وتتوالى الأحداث وتختطف جماعة من الغلاة التكفريين مُراد لينفّذوا فيه حكم الله لأنّه يتجرّأ على الله، ويبثّ حقده على الإسلام بنشر أفكاره الإلحادية بين الطلبة المسلمين. ويعلم مراد بنهايته المأساوية على يديهم فيتوسّل إليهم أن يتركوه وشأنه، وأنه لن يعود إلى أفعاله السابقة غير أنهم لا يعيرونه سمعا، ويسكبون عليه البنزين ويشعلون فيه النّار فيموت، ويستبشر قاتلوه بموته

"لأن الله قد اختارهم دون سواهم لينقّذوا حكمه في هذا الدّعي المُهرطق الزّنديق"[27].

ولم تكن نهاية (صالح) بأسعد حالا من نهاية زميليه (بتول ومراد) فقد تلقّى هو الآخر تهديدات قاسية من التكفريين الغلاة الذين غاظهم ألا يكون صالح شديدا في آرائه في الملاحدة والمارقين من الدّين، فهو يجالسهم ويصادقهم، ويتهاون –في نظرهم– في أمور الدين، ويشوّه الدّين الصحيح بأفكاره السخيفة فيما يكتبه من مقالات ينشرها في صحف متعددة، بالإضافة إلى أنّه ترحّم على صديقه (مراد) وأشفق عليه مما حلّ به على يد الغلاة والمتطرفين. وكانت النتيجة أن اختطف هو الآخر مثل زميله (مراد) ولكنّ الفارق هذه المرّة أن اجتمع على اختطافه النقيضان: المتطرفون من المسيحيين الذين حنقوا عليه ما فعله من غواية (بتول) وإفسادها، والغلاة من المسلمين الذين نقموا منه التهاون في أمور الدين. وثمة جامع مشترك بين كلتا الطائفتين من المسيحيين المتطرفين، والمسلمين الغلاة حيث يعتقد الجميع أنّ ما يرونه هو الصواب، وأن كلّ من حدّثته نفسه بالخروج عن طائفتهم يستحقّ الرجم والقتل والذبح. ولعلّ هؤلاء أنفسهم من عناهم ابن سينا بقوله:

"ابتلينا بأقوام يظنّون أنّ الله لم يهد إلى الحقّ سواهم"[28].

هذه الرواية يمكن أن تكون مرجعا مهما في المناظرات ما بين الإسلام والمسيحيّة من جهة، وما بين الإسلام والإلحاد من جهة أخرى، فقد حشد فيها العتوم عددا كبيرا من الأدلة والبراهين العقلية والنّقلية من كل من التراث الإسلامي والمسيحي التي تثبت بوضوح أحقيّة الإسلام، وتنسف عقيدة التثليث وألوهية المسيح عليه السلام، وتجيب إجابات مقنعة عن التساؤلات الكثيرة التي يثيرها بعض الملاحدة حول الإسلام وتعاليمه السمحة وعقائده الباهرة.

المبحث الثاني: أنواع الشخصيات في رواية كلمة الله

أولا: أنواع الشخصيات من حيث الدور والوظيفة والمركزية في الرواية:

شخصيات رئيسية:

بتول:

فتاة مدلّلة تعيش مع عائلتها المسيحيّة في قرية تقع بها كنيسة كبيرة حيث تعمل والدتها (مريم). تكون بتول محبوبة جدا من والديها وخاصة من أبيها الذي يحبّها حبّا جمّا، ويقدّمها على أخويها (وائل) و(سلوى)، ولا يسعه إلا الجلوس عندها، والخروج معها في نزهات إلى قمة الجبل حيث يقضيان وقتا ممتعا.

تكبر (بتول) وتضطر إلى أن تغادر قريتها وأهلها وتذهب إلى المدينة حيث تدرس في الجامعة. في الجامعة تتعرّف (بتول) على شاب مسلم يُدعى (صالح) يكون زميلا لها في كلية الصحافة. تُعجب بتول بأخلاق صالح وفطنته وأفكاره التي كان يبثها في حواراته ونقاشاته مع الأساتذة والطلاب، فتصادقه أولا ثم لا تلبث هذه الصداقة إلى أن تتحول إلى حب عميق. وفي كل لقاء يضم الإثنين يجري بينهما حوارات عميقة حول حقيقة الإسلام والديانة المسيحية، وما حرفته الكنيسة عبر الزمان. وتتوالى الأحداث وتترك بتول المسيحية وتدخل في الإسلام بكامل إرادتها، فقد كان يسوق لها صالح من الأدلة والبراهين ما لا يمكن لها إنكارها.

وفي القرية تعلم أسرة بتول بتحولها عن المسيحية ودخولها في الإسلام، فيتنكر لها والدها، ويتحول حبه العظيم

لها إلى غضب شديد. ويحاول بكل ما أوتي من قوة أن يثنيها عن قرارها والعودة إلى ديانتها المسيحية غير أنه يفشل في تحقيق ذلك، فيستعين بالأسقف (أبرام) القائم بأمور الكنيسة في القرية. ويحاول الأسقف بشتى السبل والوسائل أن ينفّر بتول من الإسلام ويعيدها إلى المسيحية غير أنّ كل ذلك لم يجد نفعا مع ثباتها.

ولما خابت كل مساعي الأسقف معها، وتبيّن له رسوخ الإيمان بالله الواحد الأحد في قلب الفتاة؛ اتصل بوالدها قائلا:

"إنها أقسى من الصخرة الجامدة في الوادي العميق.. جاء دورك الآن، أنا بالنسبة لي فعلتُ ما أستطيع أن أفعله.."[29].

ويأتي والدها (وهيب) ومعه أخوه (رشدي) ليأخذا بتول من الكنيسة ويصعدا بها إلى قمة جبل، حيث ينتظرهم أخوها (وائل)، وهناك يوثقون أطراف الفتاة إلى أوتاد قائمة، ويبدأون بتعذيبها ثم قتلها والإجهاز عليها بطريقة وحشية ترتعد لها القلوب، وتقشعر لها الأبدان.[30]

صالح:

كان زميلا لـ(بتول) في كلية الصحافة، وهو شاب مسلم وهبه الله الفطنة والذكاء، وكان بارعا في المناقشة والحوار قادرا على تحليل موقفه بدقة ووضوح سواء مع أساتذته في قاعات الدرس وسواء مع زملاءه الطلاب في الندوات واللقاءات المختلفة. وكان يكتب مقالات في مختلف الصحف والمجلات يعرض فيها أفكاره.

لم يكن صالح في نقاشاته وحواراته وفيما ينشره من مقالات صحفية يسلك سلوك أولئك الغلاة والمتطرفين الذين يحتكرون الصواب لأنفسهم ويستعجلون في اتهام الطرف المقابل ورميه بالزندقة والكفر والمروق من الدين؛ بل كان معتدلا في آراءه، يناقش بأرقى الصور، لا يلعن ولا يكفّر، ولا يحكم على الطرف الثاني بالنار والشنار، وإنما كان يدلي بآراءه تجاه القضية المطروحة ويسوق لها من الحجج والبراهين التي صحت لديه، ثم يترك لعقل الذي يناقشه وعقول الحاضرين فرصة الاقتناع بما يشاؤون.

ولكن هذا السلوك من (صالح) لم يعجب نفرا من المتطرفين في الجامعة بل أوغر صدورهم، وأغاظهم ألا يكون (صالح) شديدا في آرائه ونقاشاته مع الملاحدة وأصحاب النظريات الفاسدة. وكانوا ينتظرون منه تكفير الطرف الآخر كما يفعلونه هم في نقاشاتهم وحواراتهم. كما أخذوا عليه صداقته لبعض أصحاب النظريات الباطلة طالبين منه أن يقطع صلته بهم وأن يتخلى عن سلوكه المعتدل معهم. ولما لم يستجب صالح لمطالبهم راحوا يوجهون إليه تهديدات قاسية ولكن صالح لم يهتم لأمرهم ومضى في الشوط إلى نهايته لا يهاب شيئا، لأنه كان موقنا بأنه على حق.

تمّ اختطاف صالح من بيته، وحصل أن اجتمع على اختطافه النقيضان: المتطرفون من المسيحيين الذين حنقوا عليه ما فعله من غواية (بتول) وإفسادها وزرع الشكوك في رأسها حول الدين المسيحي، والغلاة من المسلمين الذين نقموا منه التهاون في أمور الدين برأيهم، ولين جانبه للمارقين من الدين. وقد ذهبوا به جميعا إلى واد عميق بعيد لينتقموا منه على ما اقترفه من الجرائم برأيهم.

مراد:

كان زميلا لصالح وبتول في الجامعة، يدرس في كلية الاقتصاد، وكان يحمل أفكارا إلحادية خطيرة. ولقد استطاع (صالح) أن يواجه مُراد، ويفنّد كل أفكاره الإلحادية الفاسدة ويسوق له من الحجج والبراهين العقلية التي تبطل كل مزاعمه الفاسدة وتثبت بوضوح أن للكون خالقا أبدعه بكل هذه الدقة والعظمة المتناهية.

وبسبب ما عُرف به (مراد) من النشاط الإلحادي في الجامعة أخذت تَرِدُ عليه من التكفيريين والغلاة المتعصبين تهديدات بالقتل، فأصبح خائفا حذرا من أن تمتد إليه يد أحدهم بسوء أو أذى، إلا أنّ زميله صالح لقيه وهدّأ من روعه، وطلب منه أن لا يهتم لأمر هذه التهديدات الجوفاء.

وفي مساء يوم خريفي مظلم خرج مراد من الجامعة نحو بيته، وفي الطريق أحاطت به جماعة من الملثّمين قيدوه من يديه ووضعوا عصابة على عينيه ثم ألقوه في سيارة لتأخذه إلى مكان بعيد لإقامة حدّ الله فيه لأنه يتجرّأ على الله ويبثّ حقده على الإسلام بنشر أفكاره الإلحادية بين الطلبة المسلمين. ثم قاموا وأسكبوا عليه البنزين وأحرقوه مع كتبه حيا وهو يصرخ صرخات النجدة والاسترحام.

شخصيات ثانوية:

مريم:

هي أم بتول التي وهبت نفسها لخدمة الرب وعبادته، وتساعد الأسقف (أبرام) في إلقاء المواعظ وإعطاء الدروس في الكنيسة الأثرية في القرية. وكانت دائما تبث في مواعظها الطمأنينة في قلوب العباد وتحي في نفوسهم الأمل في مغفرة الرب ورحمته. تزوجت مريم من شاب يدعى (وهيب) وعاشت معه ومع أولادها حياة هانئة سعيدة. كانت مريم متمسكة بعقيدتها وتعاليم دينها بشدة وتربي أولادها على تلك التعاليم

"لم تضع مريم لحظة واحدة من حياتها كانت تستطيع فيه أن تبثّ فكرة مقدّسة، أو بشارة محببة إلا واستثمرتها في صالحها وصالح عائلتها" [31].

وعندما علمت مريم بإسلام ابنتها (بتول) حزنت حزنا شديدا إلا أنها لم تقف منها ذلك الموقف العدائي الشديد الذي وقفه زوجها وهيب، بل حاولت أن تخفف من حدّة غضب زوجها وحنقه على بتول قائلة: لكن يا وهيب ألا ترى بأنه في وسعنا أن نُصلح ما فسد؟! ألا بأن الجلوس إليها ومحاورتها، والاستماع إليها أنجع حل فيما نحن فيع..

"ولربما أقنعناها بالعدول عما تحولت إليه.. الحوار يا وهيب هو أساس الحل" [32].

خاطرت مريم بحياتها لما قامت بزيارة ابنتها في زنزانة الكنيسة لأن زوجها وهيب منعها من ذلك منعا باتا إلا أنها لم تطق صبرا، وتسللت في جنح الليل حتى وصلت إلى الكنيسة ودفعت إلى الأسقف الجشع مبلغا كبيرا حتى يسمح لها بزيارة فلذة كبدها بتول. وبعد عودة مريم من الكنيسة ورؤية العذاب الرهيب الذي تمرّ به بتول في ذلك الجحيم لم تعد تشعر بأي قيمة للحياة حتى أنها فكّرت في الانتحار، ثم أخذت لا تترك لحظة إلا واستغلتها لتحدّث وهيب في أمر بتول: كيف تسمح لك نفسك أن تترك ابنتك هناك وحدها، ألا يرقّ قلبك لها، لماذا لا تكاد تسمع مني حين أحادثك بشأنها؛ أليست بتول من صلبنا، ألسنا أبويها؟ فكيف تطاوعنا نفسنا في التخلي عنها بهذه

الطريقة. وتقول:

"أنا لا أصدّق أن الأب الذي كان يزرعها بين جفونه، ويضمها تحت كنفه.. يتركها هناك تذوق أصناف العذاب الذي لا يصدّق"[33]

. ولكن زوجها الذي لم يكن يرفض لها طلبا فيما مضى تحول إلى كائن آخر؛ لم يكترث لاستجدائها وبكائها وقال بعصبية بالغة:

"لا تخافي سأريحك وأريح نفسي منها"[34].

وهيب:

هو زوج مريم ووالد بتول. كان وهيب يحب زوجته مريم حبا جما ولا يرفض لها طلبا، وكان يحب أولاده (سلوى ووائل وبتول) ولكن حبه لبتول كان لدرجة فوق الوصف فقد كان يؤثرها على الجميع. وكان يقول لزوجته:

"أحيانا أفكر أنّ الله لو لم يرزقني ببتول لكانت حياتي جحيما" [35].

ويقول لبتول بملء فمه:

"أنتِ غاليتي، لن يستطيع أحد في الأرض أن يحرمني منك، ستظلّين نوري في العتمة، وسراجي في الظلمة" [36].

وكان يأخذها في النزهات إلى قمة الجبل، ويغني لها في الطريق أجمل الأغاني، ويجيب على تساؤلاتها الطفولية باهتمام، وإذا شعرت بالتعب حملها على كتفيه، فإذا ما وصلا إلى القمة جمع لها ورودا وأزهارا مختلفة الألوان وصنع منها باقة جميلة ليهديها إلى أميرته الصغيرة، ثم يصنع لها أرجوحة ويضعها عليها ويدفعها إلى الأمام في الهواء وهي لا تكف عن الصياح ابتهاجا بكل ما يحصل. ثمة أمر ما في هذه الفتاة الصغيرة الذي يجعلني في كل لحظة أزداد بها تعلقا [37].

ولكن هذا الحب الكبير الذي كان يحمله وهيب في قلبه لابنته (بتول) تحول فجأة إلى كره شديد عندما علم بتحولها من المسيحية إلى الإسلام وإصرارها على المضي فيما اختارته، حتى إنه قام بصفعها على وجهها، وهجم عليها يريد أن يخنقها لو لم تتدخل الأم. كان وهيب يعتقد أن بتول بدخولها في الإسلام ستشوه سمعة الأسرة وتعرّضها لألسنة الناس وهم متشفون بحالهم.

حاول وهيب بكل ما كان لديه من الوسائل والأساليب أن يردع بتول إلا أنها أبت عليه وظلت متمسكة بإسلامها، فاستعان الرجل بأسقف الكنيسة، فعندما أعلن عجزه، قام (وهيب) بقتلها ليتخلص منها. وهكذا هان عليه أن يقتل أميرته التي كان يزرعها بين جفونه بالأمس!!

الأسقف أبرام:

كان يتولى الإشراف على الكنيسة منذ عقود، وكان يلقى تكريما ماليا على كل موعظة يُلقيها داخل الكنيسة من المجلس الأعلى، وكانت تختلف قيمة التكريم باختلاف المناسبة أو طبيعة الناس الذين يحضرون للاستماع إلى مواعظه. ولقد كان رجلا حسودا حقودا يكره البسطاء وعامة الناس، ويتبرم إذا مدّ أحدهم يده نحوه ليمنحه البركة

وينظر بعين الاستهجان والحقارة إلى الحضور.

وكان قاسيا في خطاباته التي كان يلقيها في الكنيسة، ويلعن الذين يأتون لمغفرة ذنوبهم ومباركة الرب. يقول في أحد خطاباته: "إن الرب يلعن كل من ساعد في صلبه، وأنتم أيها القوم تساعدون كل يوم في حمله على الصليب؛ إن لم تتخلوا عن أفعالكم الشنيعة فإن الجحيم في حفرته العاشرة ينتظركم مع بقية الملعونين.. وكان يعتبر الكنيسة ملكه وتحت تصرفه، وبإمكانه أن يفعل ما يشاء دون أن يسأله أحد ويقول:

"أنا الكنيسة وأبو الكنيسة وأفعل ما أشاء [38]

ولما ذهب أهل بتول بها إلى الكنيسة راح الأسقف (أبرام) يلقي على مسامعها كثيرا من المواعظ والعظات كي يقنعها بالتوبة والعدول عن الإسلام والعودة إلى المسيحية ولكن كما قال شوقي:

"ورُبَّ مُنتصتٍ والقلبُ في صمم"[39]

فقد ذهبت كل مساعي الأسقف أدراج الرياح أمام قوة إيمان بتول ورسوخ عقيدتها، فما كان منه إلا أن أمر برميها في زنزانة معتمة أسفل الكنيسة، حيث ذاقت كل أصناف العذاب.

وأسوأ ما حدث لبتول في ذلك الجحيم أنّ الأسقف الذي يدّعي القداسة ويمنح البركة للمذنبين والعصاة دخل إلى زنزانتها يوما يريد أن يلوّث شرفها، ويعتدي عليها جنسيا، إلا أنّ بتول لم تمكّنه من ذلك واستطاعت أن تنقذ نفسها من مخالب ذلك المخادع المحتال.

بالإضافة إلى كل ذلك كان الأسقف رجلا جشعا طماعا محبا للمال متعلقا به إلى حد بعيد، فلقد أبى أن يسمح لمريم بزيارة ابنتها بتول، ورفض رغم استجدائها وطلبها الملح، فلم يأذن لها إلا بعد أن دفعت له مبلغا من المال. وعندما أراد والدها أن يأخذ ابنته من الكنيسة فلم يسمح له الأسقف بأخذ الفتاة إلا بعد أن دفع مبلغا من المال.

هيلينا:

راهبة تفرّغت لخدمة الرب في الكنيسة التي تعمل بها مريم، وكان قد عُهد إليها برعاية الطفل اللقيط (وائل) الذي جيء به إلى الكنيسة، وأخذت هيلينا الطفل ثم شغفت به حبا وكانت دائما تشكر الله وتصلي له بأن أهدى لها هذا الطفل الذي ملك على هيلينا كل حياتها فقد دأبت أن تخرج بالصغير إلى حديقة الكنيسة وتطوف به بين الأشجار، وتناغمه وتغني له أعذب الألحان.

> **"لم تترك شيئا يُمكن أن يُدخل السعادة إلى قلبه إلا وفعلته؛ طلبت من الأسقف أن يأتيها بألعاب الأطفال من إيطاليا.. من أجل عينَي هذا المحبوب الذي تعلق به قلب هيلينا حتى صار لها ابنا حقيقيا، وأصبحت له أماً حقيقية"** [40].

وبعد أن كبر الولد قليلا طلب الأسقف أبرام من هيلينا أن تسلمه كي يُبعث به إلى أسرة تُعيله، ولكن هيلينا رفضت رفضا قاطعا، وكانت تقول:

> **"لا ... لا .. لن يكون.. أقسم بالرب أنّ هذا لن يكون!! .. لن أسلّمه للرب حتى لو جاء الرب بنفسه إلى هنا!!.**

وعندما حلّ الليل ونام الجميع ربطت هيلينا يد الولد إلى يدها خوفا من أن يأخذوه منها وهي نائمة. وُجدت جثة هيلينا في صباح اليوم التالي تتدلى من تحت أحد الأعمدة داخل الكنيسة. وسرت شائعات كثيرة حول موتها، فقال البعض أنها انتحرت بعد أن فقدت ابنها، وقال آخرون: لا يمكن لمؤمنة مثل هيلينا أن تقتل نفسها؛ لا بد مِن أنّ أحدا قام بقتلها.

ثانيا: أنواع الشخصيات من حيث التغير والتحول والثبات:

شخصيات نامية:

بتول:

نمت شخصية بتول نموا كبيرا مع نمو أحداث الرواية وتطورها، وتغيرت تغيرا كاملا في نهاية الرواية عما كانت عليه في بدايتها، فقد ولدت في أسرة مسيحية لأبوين نذرا حياتهما لرعاية الكنيسة وخدمة الرب، وتعلّمت مبادئ المسيحية في المدارس المسيحية التي درست بها. ولكنها كانت منذ صغرها مملوءة بالشك والهواجس تطرح على والدها وعلى نفسها أسئلة تتعلق بكنه الرب وحقيقته ولا تكاد تكف عن التفكير فيه.

ولكنها بعد أن تعرفت على (صالح) زميلها في الكلية، وأخذت تحاوره وتناقشه فيما يتصل بالأديان والمذاهب وكُنه الرب وحقيقته، راح يتبدد ما لديها من شكوك وهواجس. ولقد استطاع صالح خلال جلسات قليلة أن يهزّ المعتقدات التي ظلت تتشربها بتول طوال عقدين من الزمان، إلى أن أخذ صدرها ينشرح للإسلام حتى وقر في قلبها، وارتاحت له نفسها. وتتطور الأمور إلى أن تتخلى بتول عن المسيحية تماما وتدخل في دين الإسلام من أوسع أبوابه مؤمنة بكل ما جاء فيه.

ومما يتجلى فيه تطور شخصية بتول ونموها أنها عثرت على أجوبة مقنعة لكل الأسئلة التي كانت تقض مضجعها منذ الصغر حول حقيقة الدين وكنه الخالق، واستبدلت هواجسها وشكوكها باليقين والإيمان التام. ومما يدل على تطور شخصيتها كذلك شدة تمسكها بإيمانها الذي اعتنقته عن قناعة، رغم محاولات أسرتها الكثيرة في ثنيها عما قررته واختارته، وتحملت في سبيل ذلك كثيرا من الألم والأذى والعذاب قبل أن يقضي عليها والدها الذي كانت تحبه، ويملأ حياتها فرحا وسرورا.

وهيب:

تطورت شخصية وهيب تطورا ملحوظا من خلال أحداث الرواية وتناميها، وتفاعلت مع أحداثها تفاعلا كبيرا. ومما يدل على تطور شخصية وهيب تنكره لابنته الغالية التي كان يحبها حبا جما ويؤثرها على أخويها وائل وسلوى، إلا أنه لما علم بإسلامها تغيّر تغيرا كاملا، وتحول حبه الشديد لها إلى كره أشد، حتى اعتدى عليها ضربا، ولم يكتف بذلك بل رضي أن يقودها بنفسه إلى زنزانة داخل الكنيسة، وكان يعلم بكل ما تقاسيه ابنته من الآلام والأوجاع والمحن هناك من دون أن يرق لها قلبه. ولما تبين له تمسكها بالإسلام وإصرارها على عدم التخلي عنه، هان عليه أن يقتلها بيديه اللتين كانتا تحملانها وهي صغيرة.

ويدل على تطور شخصية وهيب أيضا أنه كان يحب زوجته مريم حبا شديدا، ويحقق لها كل طلباتها بصدر

رحب، ولكن تغيرت معاملته لها بعد إسلام بتول إذ لم يعد يستمع إلى كلام زوجته عندما تحدثه في شأن الرأفة بابنتهما بتول، وقام يهددها بالقتل إن هي قامت بزيارتها في الكنيسة. تقول مريم لبتول: لقد فعلتُ المستحيل من أجل أن أراك. وأبوك لو يدري أنني زرتك لقتلني.. لقد تغير تماما يا حلوتي، لم يعد وهيب أبدا ذلك الشخص الرقيق الذي كنا نعرفه، إنه تحول إلى وحش في صورة إنسان [41].

مريم:

من الشخصيات التي تطورت مع أحداث الرواية شخصية مريم، وتجلى التطور في شخصيتها في عدة مواقف، منها: أنها كادت –وهي المؤمنة المخلصة– أن تكفر بطريق الرب لما عرفت أن الكنيسة تحتوي تحتها سجنا وزنازين انفرادية

"لم تكن تعرف من قبل أنّ بيت الرب يحتوي تحته سجنا، وأنّ فيه زنازين انفرادية.. كادت تكفر بطريق الرب وهي تواصل هبوطها باتجاه زنزانة ابنتها" [42].

والذي يدل على نموها كذلك أن أخذ إيمانها يتزلزل وعزيمتها تضعف إلى درجة أنها فكرت بالانتحار مرات في طريق عودتها نحو القرية لأنها لم تعد تشعر بأي قيمة للحياة بعدما شاهدت ابنتها تعذّب بوحشية بالغة في ذلك الجحيم أسفل الكنيسة. ومما يدل على تغير شخصية مريم ونموها أنها بعد لقائها بابنتها ورؤية صمودها أمام أصناف العذاب الذي تُمارس ضدها؛ أخذت تقارن بين إيمانها وإيمان بتول، وتخلص إلى أنّ إيمان بتول قوي ومتين، وأن إيمانها هي إيمان غير مستقر وقد ينهار عند أول عاصفة. وبعد أن أدركت الفرق توجهت إلى الرب بالدعاء قائلة:

"رب آتني من اليقين بك ما آتيت ابنتي" [43].

شخصيات ثابتة:

زئيف:

كان زئيف يعمل في الكنيسة، يملك جسدا صلبا، وطولا فارعا، وعضلات مفتولة، وكانت مهمته في الكنيسة تختصر في أمر واحد هو تعذيب العصاة والمجرمين والخارجين عن طريق الرب وحكمه في الزنازين التي أعدّت لذلك في سرداب الكنيسة. كان زئيف يدرك حقيقة الأسقف أبرام وشروره وجرائمه ولذلك لم يكن يحتشم أمامه أو يخشع ويذل مثل ما يفعل الآخرون. ولشدة لؤمه وقساوة قلبه ظن البعض أنه كان متورطا في قتل هيلينا الراهبة حتى قالت إحدى الراهبات: هل زئيف هو الذي ارتكب هذه الجريمة؟! لديّ إيمان أنه قد يُقدم على فعل ما هو أسوأ من ذلك. كلفه الأسقف أيام محنة بتول في زنزانة الكنيسة أن يقوم بتعذيبها قدر ما يستطيع حتى تترك الإسلام وتعود إلى المسيحية، ولم يكن زئيف يقصّر في واجبه ذلك بل راح يتفنن في تعذيب الفتاة حتى كسر أنفها، وذراعها في حفلة واحدة من حفلات التعذيب الكثيرة التي كانت تمارس عليها بشكل ممنهج.

وائل:

لم يكن ابنا حقيقيا لمريم ووهيب، وإنما هو لقيط عُثر عليه قرب الكنيسة وجيء به إلى الكنيسة، حيث كان رضيعا ترعاه إحدى الراهبات في الكنيسة هي هيلينا. وبعد موت هيلينا سلم الأسقف (وائل) إلى مريم، وقد اتخذته

مريم ووهيب ابنا لهما وعملا على تربيته تربية صالحة، وأحباه كما لو كان من صلبهما.

كان (وائل) ولدا شقيا، كثير الصياح حاد الطبع، لا يسمع لأحد ولا يلتفت لتوجيه أي كان، وكان كثيرا ما يتشاجر مع أخته سلوى ويسارع إلى شعرها ويجرها ويسحبها، ويعمد إلى الألعاب التي أحضرها الوالدان فيحطمها تحطميا. ولقد تأخر في دراسته، ولم يحقق أي نوع من التفوق فيها. وكان سيء الظن بعمه رشدي الذي يتولى إدارة فندق غصن الزيتون ويتابع أموره بعد أن تركه وهيب ليسير على خطى زوجه مريم في رعاية الكنيسة وخدمة الرب.

غضب وائل كثيرا عندما علم بإسلام بتول ووقف في صف والده يريد أن تترك بتول الإسلام وتعود إلى المسيحية، لأنها إن لم تفعل ذلك ستشوه سمعة الأسرة وتعرّضها لألسنة الناس. وكان يخاطب أمه مريم بلهجة ملؤها الكره والغضب:

> **"ها أنذا أقول واسمعيني جيدا يا مريم إن لم ترتدع بتول عما هي فيه، فسأقتلها.. أتفهمين ما أقول سأقتلها.. أقسم بالأب والابن وروح القدس لأقطعن جسدها قطعة قطعة وأرميها إلى الكلاب لكي تلتذ بأكل لحم هذه الفاجرة"**[44].

وقد صدّق اللئيم دعواه وشارك أباه وهيب في تعذيب بتول وقتلها بوحشية بالغة.

وفي الرواية عدد من الشخصيات العابرة التي لم يكن لها دور يُذكر، وظهرت في أحداث قليلة جدا من الرواية، ولم يولها الروائي اهتماما كبيرا فجاءت عرضا مع الشخصيات الرئيسية والثانوية. مثل شخصية (وعد) زميلة بتول في السكن، وشخصية (سلوى) شقيقة بتول، وشخصية (دانيال) مساعد الأسقف أبرام.

نتائج البحث:

1. يعتبر عنصر الشخصية من أهم التقنيات السردية في فن الرواية، فلا يتصور رواية دون وجود شخصيات تقوم بالأدوار المختلفة داخل أحداث الرواية والتي تعطي للقصة بعدها الحكائي. كما أنها الخيط الذي يربط بقية عناصر الرواية.
2. تتنوع الشخصيات في رواية "كلمة الله" لأيمن العتوم ما بين الشخصيات الرئيسية التي هو محور الرواية وأساسها الذي تنهض به، وإلى الشخصيات الثانوية وتقوم بالدور المساعد والمعاون للشخصيات الرئيسية، بالإضافة إلى تنوع الشخصيات إلى النامية التي تنمو وتتطور مع تطور أحداث الرواية ونموها، وشخصيات ثابتة التي تظل على دورها المحدود ولا يقع لها تغيير أو تطور كبير في تصرفاتها أو مواقفها.
3. يحرص الروائي أيمن العتوم على رسم شخصياته الروائية وخاصة الرئيسية منها من جوانبها المتعددة فيتناول مظهرها الخارجي الذي ينم عن دورها في الرواية، كما يبرز حياتها الاجتماعية، ويكشف عن أبعادها النفسية وانتماءاتها الفكرية ويستخدم في ذلك أساليب متنوعة.
4. هناك علاقة تكامل مشتركة قوية بين شخصيات رواية "كلمة الله" كما في بقية روايات الكاتب، فكل شخصية ترتبط ببقية الشخصيات ومكملة لها يوردها الكاتب ويقوم بتوظيفها بذكاء وإتقان ضمن الأحداث المختلفة من الرواية.

5. بما أن المرأة تعتبر نصف المجتمع فلقد رأينا أيمن العتوم يفسح لها المجال من بين شخصيات رواياته، ويتنوع حضور المرأة في رواياته فتظهر في صورة الأم، والابنة، والزوجة، والأخت، وزميلة الدارسة.. وظهر ذلك جليا في رواية "كلمة الله" التي نحن بصددها في هذا البحث.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

الهوامش

(1) سورة إبراهيم، الآية: 42

Surah Ibrahim, Al-ayah: 42

(2)الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، ترتيب وتحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى 1424هـ/2003م، ج:2، ص: 314

Al-Khalil bin Ahmad al-Farahidi, Kitab al-'Ayn murattaban 'ala huruf al-ma'jam, Tartib wa Tahqiq: Dr. 'Abd al-Hamid Handawi, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah Beirut- Lebanon. 1424H/2003M, Vol:2, P: 314

(3)ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش خ ص)، دار صادر، بيروت-لبنان، طبعة 1975م، ج 7، ص: 45

Ibn Manzur, Lisan al-'Arab, madah (sheen khaa saad), Dar Sadir, Beirut- Lebanon, 1975M, Vol: 7, P: 45

(4)أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (شخص)، ج 2، ص: 304

Abu Tahir Majid al-Din Muhammad bin Ya'qub al-Fayruzabadi, Al-Qamus al-Muhit, Maddah (shakhassa), Vol: 2, P: 304

(5) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة (شخص)، ص: 475

Al-Mu'jam al-Wasit, Majma' al-Lugha al-'Arabiyya bi-al-Qahirah, Madah (shakhassa),P: 475

(6)عبد المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الجيزة- مصر، الطبعة الأولى 2009م، ص: 86

'Abd al-Mun'im Zakariya al-Qadi, Al-Bunyah al-Sardiyyah fi al-Riwayah, 'Ayn li-al-Dirasat wa-al-Buhuth al-Insaniyyah wa-al-Ijtima'iyyah, al-Jizah- Misr, 2009M, P: 86

(7)جميلة قيسمون، الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، العدد 6، 2006م، ص: 195

Jamilah Qaismun, al-Shakhsiyyah fi al-Qissah, Majallah al-'Ulum al-Insaniyyah, Qism al-Adab al-'Arabi, Jami'at Manturi, Qasantinah, al-Jaza'ir, al-'adad 6, 2006M, P: 195

(8)حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الثانية 2009م، ص: 207

Husayn Bahrawi, Bunyat al-Shakl al-Riwayi, al-Dar al-Bayda'- al-Maghrib, 2009M, P: 207

(9) نفس المرجع، ص: 213-217

Ibid, P: 213-217

(10)فيليب هامون، سيميولوجية الشخصية الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، تقديم: عبد الفتاح كيليطو، دار الحوار، اللاذقية-سورية، الطبعة الأولى 2013م، ص: 51

Philip Hamon, Simiolojiyyat al-Shakhsiyyah al-Riwayiyyah, tarjamat: Sa'id Bankrad, taqdim: 'Abd al-Fattah Kilito, Dar al-Hiwar, al-Ladhiqiyyah- Suriyah, 2013M, P: 51

(11)د. حميد الحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء – المغرب، الطبعة الأولى 1991م، ص: 51

Dr. Hamid al-Hamidani, Bunyat al-Nass al-Sardi, al-Markaz al-Thaqafi al-'Arabi, al-Dar al-Bayda'- al-Maghrib, 1991M, P: 51

(12) الدكتور محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى 1997م، ص: 526

Al-Doktor Muhammad Ghunaymi Hilal, al-Naqd al-Adabi al-Hadith, Dar Nahdat Misr, 1997M, P: 526

(13)عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998م، ص: 90-91

'Abd al-Malik Murad, fi Nazariyah al-Riwayah, Al-Majlis al-Watani lil-Thaqafah wa-al-Funun wa-al-Adab, al-Kuwayt, 1998M, P: 90-91

(14) غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجد اللاوي، عمان، الطبعة الأولى 2006م، ص:131

Ghassan Kanafani, Jamaliyyat al-Sard fi al-Khitab al-Riwayi, Dar Majd al-Lawi, 'Amman, 2006M, P: 131

(15) د. عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، وحسين لافي قزق، دار الفكر، عمّان- الأردن، الطبعة الرابعة 2008م، ص: 134-135

Dr. 'Abd al-Qadir Abu Sharifah, Madkhal ila Tahlil al-Nass al-Adabi, wa-Husayn Lafi Qazaq, Dar al-Fikr, 'Amman- al-Urdun, 2008M, P: 134-135

(16)إلياء الحاوي، في النقد والأدب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى 1980م، جـ 4، ص:92

Ilya al-Hawi, fi al-Naqd wa-al-Adab, Dar al-Kitab al-Lubnani, Beirut, 1980M, j 4, P: 92

(17)الدكتور محمد يوسف نجم، فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى 1955م، ص: 100

Dr. Muhammad Yusuf Najm, Fan al-Qissah, Dar Beirut li-al-Tiba'ah wa-al-Nashr, Beirut-Lebanon, al-tib'a al-ula 1955M, P: 100

(18)إلياء الحاوي، في النقد والأدب، جـ 4، ص: 92

Ilya al-Hawi, fi al-Naqd wa-al-Adab, Vol: 4, P: 92

(19)أيمن العتوم، هذه سبيلي، ص: 10

Ayman al-Atum, Hadhihi Sabili, P: 10

(20) نفس المرجع، ص: 809

Ibid, P: 809

(21) نفس المرجع، ص: 216

Ibid, P: 216

(22) شعرية السرد في روايات أيمن العتوم، رسالة ماجستير، من إعداد الباحثة: أمل يونس محمد، العام الجامعي 2019م، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة-فلسطين، ص: 10

Shi'riyyat al-Sard fi Riwaayat Ayman al-Atum, Risalat Majistir, min I'dad al-Bahithah: Amal Yunus Muhammad, al-'Aam al-Jami'i 2019M, Kulliyat al-Adab, al-Jami'ah al-Islamiyyah bi-Ghazzah-Filastin, P: 10

(23)أيمن العتوم، كلمة الله، الطبعة الرابعة تموز/ يوليو 2015م، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت- لبنان، ص:64

Ayman al-Atum, Kalimatullah, al-tib'a al-rabi'ah Tamuz/ July 2015M, al-Mu'assasah al-'Arabiyyah lil-Dirasat wa-al-Nashr, Beirut- Lebanon, P: 64

(24) المصدر نفسه، ص: 64-65

Ibid, P: 64-65

(25) المصدر نفسه، ص: 138

Ibid, P: 138

(26) المصدر نفسه، ص: 242

Ibid, P: 242

(27) المصدر نفسه، ص: 187

Ibid, P:187

(28) المصدر نفسه، ص: 225

Ibid, P:225

(29) المصدر نفسه، ص: 219

Ibid, P: 219

(30) المصدر نفسه، ص: 240-242

Ibid, PP: 240-242

(31) المصدر نفسه، ص: 88

Ibid, P:88

(32) المصدر نفسه، ص: 192

Ibid, P:192

(33) المصدر نفسه، ص: 238

Ibid, P:238

(34) المصدر نفسه، ص: 238

Ibid, P: 238

(35) المصدر نفسه، ص: 94

Ibid, P:94

(36) المصدر نفسه، ص: 64

Ibid, P:64

(37) المصدر نفسه، ص: 66

Ibid, P:66

(38) المصدر نفسه، ص: 230

Ibid, P:230

(39) معارضة أحمد شوقي لبردة البوصيري: والبيت بكامله:

لقد أنلتُكَ أذنا غير واعية وربّ منتصتٍ والقلبُ في صَمَم

(40)أيمن العتوم، كلمة الله، ص: 73

Ayman al-Atum, Kalimatullah, P: 73

(41) المصدر نفسه، ص: 235

Ibid, P: 235

(42) المصدر نفسه، ص: 234

Ibid, P:234

(43) المصدر نفسه، ص: 237

Ibid, P: 237

(44) المصدر نفسه، ص: 202

Ibid, P: 202